مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد13/العدد: 01 (2023)، ص 301-310

النخب الصوفية في المغرب الأوسط وسلطة الأولياء (ق 7_9هـ/ 13_ 15م)

Sufi elites in central Morocco and the authority of Awliya (7th - 9th century AH / 13-15 AD)

قاتل إلهام [1]،*

[1]جامعة تسمسيلت ، ilhem.gatel@gmail.com

gatel.ilhem@cuniv-tissemsilt.dz

تاريخ الاستلام: 2020/12/17 تاريخ القبول: 2023/02/09 تاريخ النشر: 2023/06/08

ملخص:

الظاهر أن المعيار السياسي ومعيار النسب الشريف ومعيار العلم ومعيار الثروة لم يكونوا وحدهم قادرين على استيعاب التطورات الحاصلة في مجتمع المغرب الأوسط، خصوصا وإن كنا نعرف تلك الأزمات التي عانى منها المغرب الإسلامي ككل والمغرب الأوسط بصفة خاصة خلال الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري/ 13- 15م، فالتصوف يترسخ ويشتد عوده إبان الأزمات حين يدب الضعف والوهن في كيان الدولة المركزية وتستشري الفتن وتحدث المجاعات والأوبئة والكوارث فيصبح تدخل الأولياء آنذاك بديلا ضروريا لإعادة التوازن السياسي والاجتماعي.

كلمات مفتاحية: الصوفية، المغرب الأوسط، النخبة، الأولياء، المجتمع، السلطة.

Abstract:

It seems that the criteria of the politician, the noble lineage, the science and the criterion of wealth were not sufficient to explain the developments of the events occurring in the society of the Middle Maghreb, especially if we knew of those crises that the Islamic Maghreb as a whole suffered from; And the Central Maghreb in particular during the period from the seventh to the ninth centuries AH / 13-15 AD.

Sufism takes root and strengthens its authority during crises, when weakness spreads in the entity of the central state. And strife appears alongside famines, epidemics and

*المؤلف المرسل: قاتل إلهام gatel.ilhem@cuniv-tissemsilt.dz

disasters. The intervention of Awliya at that time becomes a necessary alternative to restore the political and social balance.

Key words: Sufism. Middle Morocco, elite, Awliya, society, power.

Résumé :

Il semble que les critères de la politique, noble lignée, la science et le critère de la richesse ne suffisaient pas à expliquer l'évolution des événements qui se produisent dans la société du Moyen-Maghreb, surtout si nous savions de ces crises que le Maghreb islamique dans son ensemble a souffert de; Et le Maghreb central en particulier pendant la période du VIIe au IXe siècle AH / 13-15 AD.

Le soufisme s'enracine et renforce son autorité lors de crises, lorsque la faiblesse se répand dans l'entité de l'Etat central. Et les conflits apparaissent aux côtés des famines, et les épidémies et les catastrophes, l'intervention des Awliya devient alors une alternative nécessaire pour rétablir l'équilibre politique et social.

Mots clés: soufisme. Moyen Maroc, élite, Awliya, société, pouvoir.

- **مقدمة**

لاشك أن الأزمة السياسية ساهمت في ذيوع صيت المتصوفة، خصوصا بعد سقوط الدولة الموحدية، وما أعقبها من انتشار الخوف والهلع، حيث لم يجد الناس عزاءا إلا عند الصوفية في حماية أنفسهم وأموالهم، وتزايد التجاء الناس إلى المتصوفة بعد سقوط الأندلس وما أعقبه من غزو إسباني للسواحل المغربية .

أما الأزمة الفكرية والتي كانت بدايتها مع محاربة المرابطين المتصوفة فقد أدت إلى ظهور ردة فعل تجلت في الانفتاح على كتب التصوف في عهد الموحدين، وحسبنا في ذلك أن أهم رواد التصوف ظهروا في عهد الموحدين مثل: أبي مدين شعيب (ت594هـ / 1197م)، كما شهد العصر الموحدي انفتاحا كبيرا على كتب التصوف، كـ: الرعاية للمحاسبي وقوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي. وتتصدر المجاعات والأوبئة التي ألمت بالمغرب الأوسط قائمة الأسباب الاجتماعية التي ساهمت في تنامي ظاهرة التصوف والاعتقاد في الأولياء. إن هذه الأوضاع وغيرها كانت وراء انتشار ظاهرة التصوف في المغرب الإسلامي ككل، فما هي أسس المرتبة الاجتماعية عند المتصوفة في المغرب الأوسط؟، وفيما تمثلت مظاهر المرتبة الاجتماعية عند هذه الشريحة المهمة؟،

وفيما يلي سنحاول تتبع حياة النخب الصوفية في المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن السابع إلى غاية القرن التاسع للهجرة/ 13-15م، وأهم الأدوار التي اضطلعوا بها، وذلك عن طريق استعمال آليات المنهج الاستنباطي في بعض الأحيان، من خلال دراسة المنظومة الصوفية للمغرب الإسلامي بشكل عام وإسقاط بعض المعطيات على المنظومة الصوفية بالمغرب الأوسط، وذلك لأن اعتبار المجال يغيب في كثير من الأحيان عندما يكون الحديث حول المنظومة الصوفية . ذلك أن من سمات النخبة الصوفية بالمغرب الإسلامي ككل أنها لا تعرف حدودا جغرافية ولا حواجز سياسية من شأنها منع الاتصال بين الأولياء لأقطار بلاد المغرب الإسلامي، فقد كانت تشكل مدرسة واحدة متكاملة توجهها منطلقات مشتركة.كما حرصت على استقاء المادة العلمية من مصادرها الأصلية، وإثباتها في مواضعها رعيا للأمانة العلمية، وحرصا على التوثيق.

1- ظاهرة التصوف بالمغرب الأوسط:

لقد صور لنا الفيلسوف يحي هويدي هذه أوضاع المغرب الإسلامي خلال القرون السابع والثامن والتاسع للهجرة/ 13- 14-15م بقوله: "ففي هذه القرون التي أعقبت تفكك الموحدين وسقوط دولتهم، وشهد فيها المغرب هذه الفترة القلقة المفعمة بالاضطرابات السياسية، وعرف إبانها الأطماع الأجنبية، سرت في جميع أجزائه «روح غريبة، جعلت الشعب يقبل إقبالا لم يعرفه من قبل على أمور المجاهدة والكشف، وينخرط في الزوايا والرباط، ويؤمن بالأولياء وكراماتهم، ويتناقل خرقهم للعادات، وإخبارهم بالمغيبات واحتجابهم عن الأنظار إلى غير ذلك من التصاريف، هو مأخوذ كأنه قد أصابه مس من الجن، ثم نجده يندفع في زيارة قبور هؤلاء الأولياء وأضرحتهم ويقيم حلقات الذكر حول قبابهم، وتتشكل بهذه الطرق الصوفية التي ملأت البلاد من أقصاها إلى أقصاها، بكل ما عرف لها من نظام كهنوتي دقيق، يضم النقباء والنجباء والأبدال والأوتاد والمريدين" (يحي هويدي، 1966، ص.343).

وقد يكون من الضروري التنويه على أقدمية تواجد الفكر الصوفي في المغرب الأوسط فعلى عكس الدراسات التي تذهب إلى أن انتشار التصوف بالمغرب الإسلامي يعود إلى القرن الخامس الهجري/11م(ابراهيم القادري بوتشيش،1993، ص.126؛ ومحمد الشريف سيدي موسى، 2010، ص.147)، يؤكد الدكتور الطاهر بونابي على أن التصوف بالمغرب الأوسط قد ظهر مواكبا لحركة التصوف الأولى التي ظهرت بالقيروان منذ القرن 3هـ/9م(الطاهر بونابي،2010، ص.1)، وإن ظهر بأفكار وسلوكات شتى بعضها غير واضح، فإنه أخذ في القرن 5هـ/11م ينتظم في تيارات صوفية اتخذت شكلها النهائي في القرنين 6 و 7هـ/12-13م، تحت ما يسمى المدارس الصوفية (الطاهر بونابي، 2010، ص.73-99).

ومما لا شك فيه هو أن المتصوفة والأولياء قد استطاعوا أن يظهروا بقوة ابتداء من عصر الموحدين، حيث امتاز العهد الموحدي بظهور عدد كبير من أقطاب التصوف و أساتذته، و بما أن النظر

الفقهي قد تطور فإن التصوف لم يعد منكرا كذي قبل، ولم يبق للفقهاء على أهله تلك الصولة(علي عشي، 2012، ص.233-234)، حيث كان الموحدون يتعاملون مع رجال التصوف بتسامح يتخلله نوع من الحذر والريبة(محمد ياسر الهلالي، 2000، ص.227)، وهكذا يظهر الصوفية كتيار له حضور قوي داخل المجتمع، له مساهمة في التأطير الديني و الاجتماعي لأهل المغرب الإسلامي ككل، و الظاهر أن هذا الحضور قد استمر بل وازداد مع عهد دويلات العصبيات البربرية الكبرى (الحفصيين-الزيانيين-المرينيين)، فقد كان لرجالاته الحظوة الكبيرة داخل مجتمع المغرب الإسلامي لدى الحاكمين والمحكومين على السواء.

2- أسس المرتبة الاجتماعية للصوفية:

إن حضور الأولياء و الصوفية وترسخهم في ذهنية إنسان المغرب الوسيط خصوصا في عصر الدويلات العصبية البربرية الكبرى وما بعده بات من المسلمات التي لا يمكن الاختلاف فيها، ذلك أن أفراد المجتمع المغربي على اختلاف شرائحه اعتقدوا أن للأولياء والصلحاء درجة خاصة عند الله سبحانه وتعالى تؤهلهم للقيام بدور الوساطة بين عالم البشر وعالم الغيب، كما تعطيهم صلاحية منح البركة للأفراد المحيطين بهم، لتكون لهم سببا في زكاة أموالهم وصلاح أحوالهم وأولادهم، وعلى هذا الأساس وهذا التصور الذي منحهم رصيدا معنويا لا يستهان به، اضطلع الصلحاء بأدوار اجتماعية وسياسية ودينية في مجتمعهم عضدت مكانتهم الاجتماعية، وهكذا تدخلوا لإيجاد حلول لمشاكل الناس الاقتصادية والاجتماعية والصحية، خصوصا وإن كنا نعرف تلك الأزمات التي عانى منها إنسان المغرب الأوسط وعجز السلطة عن إيجاد حلول ناجعة لهاته الأزمات، فراح هذا الإنسان يبحث عن حلول فوجد في الأولياء والصوفية خير بديل لحل مشاكله (محمد ياسر الهلالي، 2000، ص. 227).

وتزخر كتب الأستغرافيا التاريخية بنماذج عديدة لصوفية ساعدوا أفراد المجتمع من خلال الإمداد بالطعام ومساعدة المحتاجين، وما يجدر ذكره أن دور الصوفية لم يقتصر على إمداد الناس بالطعام فقط فها هو أبو العباس أحمد الخراز (ت600هـ/1203م) يتصدق بالثياب التي تمنح له(ابن الزيات، 1997، ص. 377).

كما لعب المتصوفة أدوارا كبيرة الأهمية على المستوى الاجتماعي ولعل أبرزها هو دورهم في ضمان الأمن وعقد الصلح بين الأطراف المتخاصمة واصلاح ذات البين بين الناس، وحسبنا في ذلك ما قام به أبو مدين شعيب مع تلميذه الذي غاضته زوجته ليلا، فكسر أواني داره، ونوى فراقها، فأمره أبو مدين باتقاء الله وعدم ترك زوجته (يحي بن خلدون، ج1980،1، ص.164). كما حرص الصوفية على المرابطة في الأماكن المعزولة وحماية المسافرين والتجار من عبث القبائل البدوية وأهل الحرابة(الونشريسي، ج1981،2، ص.403).

وحمل الصوفية على عاتقهم مهمة إصلاح المجتمع وحمايته من الآفات المنتشرة، فحاربوا تعاطي الخمر والزنا والرشوة وتعاطي الحشيش، ومن هؤلاء المصلحين يمكننا ذكر أبو الحسن الحرالي الذي

عرف عنه محاربته للمعاقرين للخمر مستعينا بالدعاء لهدايتهم وتوبتهم عن تعاطيها، ويشير الغبريني إلى توبة رجلين اثنين على يده عن تعاطي الخمر(الغبريني، 1979، ص.150).

وفي ذات السياق قام الصوفي أبو عبد الله ابن الحجام بإعانة البنات المعوزات على جهازهم حتى لا تقعدن في المفسدة(يحي بن خلدون، ج1، 1980، ص.137).

وبالإضافة إلى دور الصوفية الإصلاحي فقد كان لهم دور تربوي تعليمي، فقد عمدوا إلى نشر العلم بالمغرب الأوسط وذلك لما اشتهروا به من حبهم وتقديرهم لأصحابه، فأبو مدين شعيب رأى أنه "من تعلم العلم ليعلم به الناس أعطاه الله فهما يعرف به" (زينب ملياني، 2007، ص. 206).

كما قاد الصوفية حملات اجتماعية تهدف إلى تطويق الآثار السلبية للكوارث المائية، وكانت مساعداتهم تتم إما بمد المحتاجين بالمال، أو شراء المواد الغذائية والسلع الضرورية وتوزيعها عليهم، أو التكفل بترميم ما هدمته السيول أو التصدق عليهم، أو مواساتهم بالدعاء، فهاهم أهل بجاية يستنجدون بأبي الحسن الحرالي (ت637هـ/1239م) ويشكونه نقص الماء نتيجة الجفاف حتى وصل بيع الزق بأربعة دراهم، فما كان من الحرالي إلا أن "رمق السماء بصره، ودعا الله تعالى، ورفع يديه وشرع المؤذن في الآذان فانعقدت السحب وتراكمت، ولم يختم المؤذن آذانه بقوله "لا إله إلا الله" حتى كان المطر كأفواه القرب، وروى الناس وأغدقوا.." (الغبريني، 1979، ص.149).

وبما أن أفراد المغرب الأوسط كانوا دائما عرضة للكثير من الأمراض والأوبئة، وفي ظل تراجع دور الطبيب وانحساره وعجزه عن معالجة العديد من الأمراض يبرز دور الصوفية في هذا المجال والذي تجلى بوضوح من خلال بعض الطقوس الاستشفائية التي يمارسونها، والتي اتخذت عدة أشكال وأساليب ممثلة في الرقية والدعاء والتفل ...إلخ(سمية مزدور، 2009، ص.174-178).

وبعد استعراضنا لأهم أدوار الصوفية في المجتمع **حق لنا التساؤل عن مظاهر المرتبة الاجتماعية لهذه الشريحة المهمة؟**

3- مظاهر المرتبة الاجتماعية للصوفية:

يمكن تتبع مظاهر المكانة الاجتماعية لدى الصوفية عبر مستويات مختلفة فكما هو الشأن لذوي الجاه والشرفاء والعلماء، نجد الأولياء والصلحاء في مقدمة المخاطبين في الرسائل الرسمية، ومن ذلك ما خاطب به أبو الحسن المريني سكان مدينة المسيلة على قلم ابن الحاج النميري: "... إلى الشرفاء المعظمين الأصلاء، والفقهاء الأجلاء والأشياخ و**الصلحاء المباركين الأتقياء** والوجوه والأعيان المكرمين الأثراء والأمناء المرعيين النصحاء، والخاصة من أهل بلد كذا والعامة على الولاء..." (ابن الحاج النميري، 1990، ص. 480-481).

كما كان لهم حضور بجانب السلطان أثناء صلاة الاستسقاء، أو في أوقات التدشينات(ابن الحاج النميري، 1990، ص.215-216)، وجعلتهم السلطة من بين الوفود الرسمية الذاهبة إلى الحجاز كما استعانت بهم في حل النزاعات بين أفراد بيت الحكم(محمد ياسر الهلالي، 2000، ص. 243).

وفي صراع دويلات العصبيات البربرية الكبرى وقد أشار صاحب البستان إلى ما قام به عبد الرحمن السنوسي وابن عبد العزيز خلال حصار أبي فارس الحفصي (838-797هـ/1394-1434م) لتلمسان سنة (827هـ/1427م) فقال: "لما نزل السلطان أبو فارس بتلمسان، وكان السلطان بها ابن أبي تاشفين، قاتله مع أهل تلمسان، وغضب السلطان أبو فارس غضبا شديدا، وضيق بأهلها وحلف إن لم يفتحوا له الباب بالغد ليأمرن بالنهب فيها ثلاثة أيام، فلما جاء الغد لم يفتحوا له الباب، فضيق بأهلها تضييقا عظيما، ورماهم بالأنفاط، وهدم المسافات حتى صارت الحجارة تصل إلى سوق منشار الجلد وكذلك السهام... فلما رأى الناس ذلك، وأيقنوا بالهلاك إن دام ذلك الأمر جاؤوا إلى علمائهم ومشايخهم وطلبوا منهم أن يخرجوا مع الأولاد الصغار بألواحهم يطلبون من السلطان أبي فارس العفو عن أهل البلد، فهبط الشيخ سيدي عبد الرحمن السنوسي وابن عبد العزيز للشيخ سيدي الحسن، وطلبا منه أن يخرج معهما للشفاعة... وقد حكي بعضهم أن -السلطان أبو فارس- رأى الشيخ سيدي الحسن في تلك الليلة، وبيده سيف وهو صاعد نازل في مدارج الليل، فلما رأى السلطان أبو فارس ذلك تاب إلى الله، ورجع عما عزم عليه ومن تلك الليلة"(ابن مريم،2011، ص.157-159).

كما أقبل السلاطين على الصوفية رغبة في الزيارة أو التباحث أو طلبا للدعاء والنصح والتبرك، وفي هذا السياق تكشف لنا النصوص التاريخية عن العناية الفائقة التي أولاها السلطان أبي العباس أحمد العاقل (866-834هـ/1431-1462م) للولي الزاهد القطب الغوث أبو علي الحسن بن مخلوف، فقد كان السلطان يكثر من زيارته له، ويقتبس من إشارته، ومدار أكثر أموره عليه(التنسي،1985، ص.248). ونفس الشيء نجده عند السلطان أبو عبد الله محمد المتوكل (866هـ-873هـ/1462-1468م) الذي كان دائم التبرك بقبر الولي أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري(التنسي، 1985، ص. 254).

كما طلب السلطان الحفصي أبو يحي أبو بكر (747-718هـ/1318-1346م) من الولي يوسف بن يعقوب الملاري (ت764هـ/1362م) جد صاحب أنس الفقير للام أن يقوم بمهمة صلح بينه وبين أبي حمو صاحب تلمسان(ابن القنفذ، 1965، ص.53؛ ونللي سلامة العامري، 2001، ص.281).

وتنقل لنا الأستغرافيا التاريخية عناية الأمير الحفصي أبي يحي زكريا والي بجاية بصوفية بجاية، ومن ذلك أنه عرض على أبي زكريا يحي بن محجوبة القرشي السطيفي (ت 677هـ / 1278م) مرتبا من أعشار الديوان كل شهر، غير أن ابن محجوبة رفض العرض (الغبريني، 1979، ص. 104).

ولم تقتصر عناية السلطة على الصوفية بل تعدتها إلى العناية بأسرهم والمنحدرين منهم، وفي هذا الشأن يقول الصباغ "وقد رأينا عيانا، والحمد لله والمنة لله، السلاطين والقواد وغيرهم، وسائر الظلمة يعظمون أولاد الصالحين والحفائد ويحرمونهم ويكرمونهم مع ما هم عليه من الضلال وسوء الحال، والتحاسد والتباغض بينهم"(اسماعيل بركات، 2010، ص.84).

ولعل ما قام به أبو الحسن المريني مع حفيد أبي يعقوب الباديسي ينهض دليلا لما أشار عليه الصباغ، وفي هذا يقول صاحب المسند: "كان -رضي الله عنه- أبو الحسن أشد خلق الله مراعاة لمن له سلف صالح، حرصا على حصول المثوبة وابتغاء وجه الله الكريم، كنت يوما جالسا بين يديه أول اتصالي به، فدخل شاب صغير السن وفد في جملة المهنئين بفتح تلمسان، فسلم الناس عل العادة فلما انتهت النوبة لهذا الشاب اهتز له رضي الله عنه وأقبل عليه ولم يعرج على سواه حتى قضى تسليمه، وسأله سؤال متحف به عن أبيه و والده وإخوته، وأمر الوزير عامر بن فتح الله بإكرام نزله فسألت عنه فقيل: "هذا يحي حفيد سيدي أبي يعقوب الباديسي"..."(ابن مرزوق، 1981، ص. 253-254).

وفيما يخص علاقة الزيانيين بالصوفية فيمكن وصفها بالعلاقة الجد حسنة، ويعكس ذلك السبعون سنة من حكم يغمراسن (633-681هـ/1236-1282م)، وابنه أبي سعيد عثمان (681-703هـ/1282-1305م) والتي تعد من أبرز مراحل التاريخ الزياني، احتفاء وتقديرا بالصوفية، ليس بدافع التخوف من نفوذهم أو لأجل استثماره في خدمة دولتهم الناشئة، ولكن من باب التبرك وتقديس الأولياء والاعتقاد فيهم، لأن الزيانيين لم يمهدوا لقيام دولتهم بدعوى مذهبية أو عقدية، تجعلهم يخشون التصادم مع الأفكار الصوفية(الطاهر بونابي، 2004، ص. 202-203).

وينقل لنا يحي بن خلدون حقائق تؤكد العلاقة الحسنة بين الزيانيين والصوفية، ومن ذلك أن يغمراسن عرف بشغفه في زيارة الصوفية، إذ كان يؤدي الزيارة إلى أبي عبد الله محمد بن عيسى طلبا للدعاء(يحي بن خلدون، ج1، 1980، ص. 149). وكان كثيرا ما يجالس الصلحاء، ويخصص زيارات الصوفية المقيمين خارج تلمسان، مثل أبي البيان واضح، المتعبد بجبل آفرشان ملتمسا بركته، والدعاء له ولعقبه(التنسي، 1985، ص.126).

والملاحظ أن الهبات التي كان يقدمها السلاطين للصلحاء وتابعيهم تأتي في الغالب مباشرة بعد بيعة السلطان، أي بعد اعتراف هذا الصنف من الصلحاء بشرعيتهم وأحقيتهم في السلطة. لكن يبدو أن هذه الهبات خضعت لإمكانيات السلطة، وكانت تتضاءل كلما ضاقت وسائلها المادية عن تحمل أعباء ذلك بفعل تزايد الواجهات التي كانت تعمل فيها.

غير أن السلطة لم تكن تشكل المورد الوحيد للصلحاء في استدرار الأموال والهبات، بل كانت لهم موارد أخرى، شأنهم شأن الفقهاء: "إذا اشتهروا حسن الظن بهم، واعتقد الجمهور معاملة الله في إرفادهم، فأخلص الناس في إعانتهم على أحوال دنياهم والاعتمال في مصالحهم، أسرعت إليهم الثروة وأصبحوا مياسير من غير مال مقتنى، إلا ما يحصل لهم من قسم الأعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم. رأينا من ذلك أعدادا في الأمصار والمدن. وفي البدو، يسعى لهم الناس في الفلح والنجر، وكل قاعد بمنزله لا يدرج من مكانه؛ فينمو ماله ويعظم كسبه ويتأثل الغني من غير سعي، ويعجب من لا يفطن لهذا السر في حال ثروته وأسباب غناه ويساره، والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير

حساب"(عبد الرحمن بن خلدون، د.ت، ص.426). وهذا ما يؤكد على أن النفوذ الديني الناتج عن الصلاح وما قد ينجم عنه من امتيازات كان يكتسب خارج السلطة السياسية.

ونتيجة لهيبة الصلحاء كثيرا ما استجابت السلطة لطلباتهم(ابن القنفذ، 1965، ص.79)، واعترفت بهم كممثلين للرعية. وإلا فإن كتب المناقب أظهرتهم وكأنهم المتحكمين الفعليين في زمام الأمور، يدخلون الهزيمة على الطرف الذين لا يرغبون فيه، أو على الذين لا ينصاعون إلى طلباتهم، وعلى الذين لا يحيطونهم بالتقدير اللازم فلعنتهم هي أسلحتهم الظاهرة. أما تلك الحقيقة فهي قدرتهم الهائلة في التأثير على المجتمع(محمد ياسر الهلالي، 2000، ص.246)، فثمة حالات كثيرة رفض فيها ممثلوا السلطة الاستجابة لتدخل الصوفية مثال ذلك ما حصل للشيخ عبد الرحمن الهرمزي عندما تقدم بشفاعته للسلطان يوسف بن عبد الحق من اجل رفع حصاره عن تلمسان، فكان لعدم استجابة السلطان أن دعا عليه الولي، فما كان "إلا أن قتله أحد صبيانه يدعى سعادة وبذلك رفع الحصار"(التنسي، 1985، ص.133).

وقد يكون من المفيد الإشارة إلى أن مكانة الأولياء عند السلطة والعامة لم تتوقف عند مماتهم، وإنما استمرت حتى بعد موتهم، والتي تمثلت في عدة مظاهر لعل أبرزها التهافت نحو حضور جنائزهم من السلاطين قبل العامة، والشغف بزيارة أضرحتهم(النميري، 1990، ص.487) ، وبناء المساجد حول بعضها(الونشريسي، ج1، 1981، ص.346).

ذلك أن ظاهرة التبرك والتوسل عند القبور وأضرحة الصوفية قد برزت أملا في تحقيق المآرب وتفريج الكروب(الطاهر بونابي،2004، ص. 173)، مثلما كان يحدث في بجاية عند قبر أبي علي الحسن المسيلي(الغبريني، 1979، ص.35-36)، وعند ضريح أبي زكريا يحي الزواوي(الغبريني، 1979، ص. 129-130)، كما كان أهل الشلف يقومون بزيارة قبر الولي أبي مسعود بن عريف المتوضع بجبال الشلف(ابن القنفذ، 1965، ص.40). أما أهل تلمسان فقد كانوا يبيتون بالعباد عند قبر أبي مدين شعيب(ابن القنفذ، 1965، ص.40). كما كانت قبور الصوفية مزارات للاستشفاء من كل الأسقام. واستعمل تراب هذه القبور لعلاج العديد من الأمراض، ومن ذلك أن ضريح الولي أبي سعيد الشريف الحسني كان مزارا للمرضى لطلب الشفاء " وما زاره ذو عاهة إلا وبرئ"(ابن مريم، 2011، ص.148).

خاتمة:

خلاصة القول إن المكانة الاجتماعية للصوفية وإن كانت تعبر عن تراتب اجتماعي حقيقي، فهي توضح تراتبا ناتجا عن ذهنيات مختلف مكونات المجتمع بتعاملها مع الأولياء وكراماتهم حيث تغيب إلى حد ما معايير التصنيف الاجتماعي المبنية على الجاه والعلم. وبذلك تضل الحاجة إلى الكرامة والمجال الذي وظفت فيه حسب معتقدات كل الفئات التي انصهرت ضمن منتج ومتلقي الكرامة من المعايير التي تحكمت في تراتبيتهم (محمد ياسر الهلالي، 2000، ص.247).

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1) التنسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل ت 899هـ / 1493م.(1985). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان؛ من كتابه: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان. تحقيق. محمود بوعياد. الجزائر. منشورات المكتبة الوطنية.
2) ابن خلدون، عبد الرحمن.(د ت). المقدمة.نسخة عنى بنشرها.أحمد الزعبي. عين مليلة- الجزائر. دار الهدى.
3) ابن خلدون، أبو زكريا يحي بن محمد الحضرمي ت 780هـ / 1378م.(1980). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد.تحقيق. عبد الحميد حاجيات. الجزائر. منشورات المكتبة الوطنية.جزءان.
4) ابن الزيات. (1997). التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي. تحقيق. أحمد التوفيق. ط2. الرباط. منشورات كلية الآداب.
5) الغبريني.أبو العباس أحمد بن محمد ت 704هـ / 1304م. (1979). عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية. تحقيق . عادل نويهض.الطبعة الثانية. بيروت. منشورات دار الآفاق الجديدة.
6) ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي القسنطيني ت 810هـ/1407م. (1965). أنس الفقير وعز الحقير. اعتنى بنشره وتصحيحه. محمد الفاسي وأدولف فور. الرباط. منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي.
7) ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المليتي المديونيالتلمساني.ت 1041هـ / 1605م.(2011).البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان.دراسة وتحقيق. عبد القادر بوباية.الطبعة الأولى. الجزائر. مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع.
8) النميري، ابن الحاج حي سنة 774هـ/ 1372م. (1990). فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة من قسنطينة إلى الزاب. تحقيق. محمد بن شقرون.الطبعة الأولى. بيروت. دار الغرب الإسلامي.
9) الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحي . ت 914هـ / 1508م. (1981م). المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب.إشراف. محمد حجي. الرباط. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
10) ثانيا: المراجع

أ- الكتب:

11) بوتشيش، إبراهيم القادري.(1993). المغرب والأندلس في عصر المرابطين -المجتمع-الذهنيات-الأولياء.الطبعة الأولى. بيروت. دار الطليعة.

12) بونابي، الطاهر.(2004). التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين/12 و 13 الميلاديين- نشأته-تياراته- دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي-. عين مليلة-الجزائر. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
13) العامري، نللي سلام. 2001. الولاية والمجتمع-مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لافريقية في العهد الحفصي-. تقديم. هشام جعيط. تونس. منشورات كلية الآداب بمنوبة.
14)
ويدي ، يحي : تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1966م، الجزء الأول .
أ- المجلات :
15) بونابي، الطاهر. (أوت 2015). موقف أبي العباس الغبريني من علم التصوف ببجاية خلال القرنين 6 و 7هـ/12 و 13م. مجلة عصور الجديدة. ع18. 228- 249.
16) ج- الأطاريح الجامعية:
17) بركات، إسماعيل. (2010).مقدمة تحقيق الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيليالمازوني (ت 833هـ / 1478م). دراسة وتحقيق من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة. رسالة ماجيستار في التاريخ الإسلامي الوسيط. تخصص المخطوط العربي . جامعة منتوري قسنطينة.
18) بونابي، الطاهر. (2010).الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط. جامعة الجزائر. قسمان.
19) -عشي، علي .(2012). المغرب الأوسط في عهد الموحدين- دراسة تحليلية للأوضاع الثقافية والفكرية (534هـ/1139م إلى 633هت/1235م). رسالة ماجيستار في التاريخ الوسيط. جامعة الحاج لخضر باتنة.
20) سيدي موسى، محمد شريف.(2010). الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الاسباني (10-6هـ/12-16م).أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط. جامعة الجزائر.
21) كرطالي، أمين.(2014). الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (10-9هـ/15-16م).رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية. كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية (جامعة وهران).
22) مزدور، سمية. (2009). المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (927-588هـ/ 1192-1520م).رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط. جامعة منتوري- قسنطينة.
23) ملياني، زينب(2007). التصوف بالغرب الإسلامي في عصر المرابطين والموحدين.رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط. جامعة الجزائر.
24) الهلالي، محمد ياسر. (2000). مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة/ 14-15م- مساهمة في دراسة بعض مصطلحات التراتب الاجتماعي: العامة -الخاصة/الطبقة-المرتبة-.أطروحة دكتوراه في التاريخ. جامعة محمد الخامس. الرباط.السفر الأول.